«أيلول الأسود» بعد نصف قرن..

خيرالله خيرالله
إعلامي لبناني

في مثل هذا الأيام، قبل نصف قرن، أخرج "الجيش العربي"، أي الجيش الأردني المقاتلين الفلسطينيين من المملكة الهاشمية بعدما أقاموا دولة داخل الدولة فيها. سمّى الفلسطينيون ذلك الحدث التاريخي، الذي أنقذ عمليا قضيتهم من الموت، "أيلول الأسود". في المقابل، سمّاه الذين يتمتعون، ولو بحدّ أدنى من الصدق مع النفس، بأنّه يوم إنقاذ الأردن من الانهيار ويوم إنقاذ المنظمات الفلسطينية المسلّحة من نفسها.

لماذا أنقذ الأردن القضيّة الفلسطينية من الموت؟ الجواب في غاية البساطة، أنّه لو لم يخرج المقاتلون الفلسطينيون من الأردن لكانوا أقاموا في المملكة الهاشمية دولة خاصة بهم تشكّل ما تعتبره إسرائيل "الوطن البديل". من دفن فكرة "الوطن البديل" التي دعا إليها دائما أرييل شارون واليمين الإسرائيلي هو الأردن نفسه ولا أحد آخر غير الأردن.

> **ما يؤكّد الجمود الفلسطيني والعجز عن الخروج منه، منذ نصف قرن، طريقة التعاطي مع اتفاقي السلام اللذين وقّعتهما مع إسرائيل كلّ من دولة الإمارات ومملكة البحرين**

دفنها "الجيش العربي" الذي دافع في الماضي عن القدس في حرب العام 1967، الحرب الخاسرة سلفا التي تسبب بها جمال عبدالناصر الذي لم يكن أكثر من ضابط ريفي لم يعرف شيئا في يوم من الأيام عن المنطقة والعالم والتوازنات الدولية... ولا عن أهمّية بقاء الجاليات الأجنبية في مصر. قضى على كل ما هو حضاري في كلّ مدينة مصرية، بما في ذلك القاهرة والإسكندرية والإسماعيلية والمنصورة وحلوان...

بعد خمسين عاما على "أيلول الأسود"، أو سمّه كما شئت، لم يتغيّر شيء. لا يزال الفلسطينيون، والكلام هنا ليس عن الشعب الفلسطيني الذي هو من أكثر شعوب المنطقة نشاطا وثقافة ومعرفة، بل عن قادة فلسطينيين ومسؤولي منظمات يرفضون التعلّم من تجارب الماضي. ما هذا الفارق الرهيب بين فلسطينيين جاؤوا إلى لبنان ولعبوا دورا في نهضته في خمسينات القرن الماضي وستيناته، مثل يوسف بيدس على سبيل المثال فقط، وأحد قادة التنظيمات الفلسطينية، جاء إلى بيروت للسرقة فقط!

كرّرت المنظمات الفلسطينية المسلّحة تجربة الأردن في لبنان. لعبت دورها في القضاء على لبنان بعدما أغرقها نظام حافظ الأسد في مستنقع لم تستطع الخروج منه إلّا بعد اجتياح إسرائيلي صيف العام 1982.

ما عمله الفلسطينيون المسلّحون في الأردن لا يمكن أن يقدم عليه شخص يمتلك حدّا أدنى من الضمير.

ماذا ينفع القضية الفلسطينية لو استطاعت المنظمات الفلسطينية في العام 1970 قلب عرش الملك حسين؟ ما الذي كان لديها لتفعله في الأردن غير الاعتداء على سيادته والقضاء على مؤسسات الدولة؟ ما حصل في الأردن تكرّر في لبنان.

لا يمكن إلّا لوم ياسر عرفات الذي لم يستطع في أيّ وقت وضع حدّ لتجاوزات الفلسطينيين، بما في ذلك المشاركة في الخطف على الهويّة في بيروت. لا يمكن بالطبع تبرئة اللبنانيين من كلّ الطوائف، من الذين شاركوا في الحرب الأهلية.

لكن السؤال الذي لا يزال يدور في البال، ألم ير ياسر عرفات ما يدور أمامه من تجاوزات واعتداءات على اللبنانيين وارتضى أن يكون لبنان مجرّد "ساحة"؟ ارتضى ذلك، علما أن الطرف الذي استخدم "الساحة" اللبنانية، أفضل من غيره، كان بالفعل حافظ الأسد الذي وظّف الفلسطينيين، كما وظّف الميليشيات اليسارية والمسيحية في خدمة مشروع وضع اليد على لبنان وعلى القرار الفلسطيني المستقلّ.

في مرحلة لاحقة، استخدم حافظ الأسد وجود قائد الجيش ميشال عون في قصر بعبدا، كرئيس لحكومة مؤقتة، ليستكمل سيطرته على لبنان، كلّ لبنان ابتداء من 13 تشرين الأوّل – أكتوبر 1990. من يتذكّر وقتذاك أن ميشال عون اختار أن يكون إلى جانب صدّام حسين!

لنضع خلفنا مرحلتي لبنان والأردن ونضع أمامنا مرحلة ممارسة الدبلوماسية الفاعلة، بين 1987 و1993، وهي المرحلة التي أوصلت إلى اتفاق أوسلو بكلّ حسناته وسيئاته. لم يكن ممكنا الوصول إلى أوسلو، مباشرة بعد مؤتمر مدريد للسلام، لولا الخطأ الضخم الآخر الذي ارتكبه ياسر عرفات في العام 1990 عندما اتخذ موقفا مؤيدا لصدّام حسين إثر غزوه الكويت. يمكن قول الكثير عن أوسلو وعن الثغرات فيه، لكن ما لا يمكن تجاهله أن أوسلو أوصل ياسر عرفات إلى البيت الأبيض.

لم يكن أوسلو ممكنا لولا فريق المفاوضات الذي كان يشرف عليه مباشرة محمود عبّاس (أبومازن) الذي خلف ياسر عرفات على رأس السلطة الوطنية الفلسطينية. لكنّ لا مجال للتهرّب من واقع يتمثّل في أن "أبوعمّار" كان الوحيد القادر على تغطية أوسلو.

أعاد أوسلو فلسطينيين إلى فلسطين. لم يكن أوسلو فاصلة في تاريخ تطوّر القضيّة الفلسطينية. كان يمكن استثماره وإنْ في حدود معيّنة لو استطاع ياسر عرفات تعلّم شيء من تجربتي الأردن ولبنان ومن تجربة تونس لاحقا. لم يتعلّم شيئا لا عن إسرائيل ولا عن كيفية عمل الإدارات الأميركية المتلاحقة في واشنطن. لم يعرف يوما كيف تعمل واشنطن مثلما لم يعرف ما هي إسرائيل ومعنى توقيع اتفاق معها. كيف يمكن الاعتقاد في أيّ وقت أن دخول فلسطين مثل دخول بيروت مجددا وأن تجربة جمهورية الفاكهاني يمكن أن تتكرّر في رام الله وأن في الإمكان تمرير قضية السفينة "كارين أي" التي كانت عليها أسلحة مهرّبة إلى الداخل الفلسطيني... والتي انطلقت من إيران!

كان متوقّعا أن يكون "أبومازن" تعلّم من أخطاء ياسر عرفات ومن أخطاء تجربتي الأردن ولبنان ومرحلة تونس ثمّ رام الله. كانت لديه ملاحظات كثيرة على المرحلة التي تلت "أيلول الأسود"، لكنّ شيئا من ذلك لم يحدث. أخذ أسوأ ما في ياسر عرفات ولم يحتفظ بأي من حسناته، بما في ذلك الاستفادة من رأي أكبر عدد ممكن من الفلسطينيين، حتّى أولئك الذين أساؤوا إليه!

ما يؤكّد الجمود الفلسطيني والعجز عن الخروج منه، منذ نصف قرن، طريقة التعاطي مع اتفاقي السلام اللذين وقعتهما مع إسرائيل كلّ من دولة الإمارات العربيّة المتحدة ومملكة البحرين. هل اعترضت أبوظبي والمنامة على توقيع اتفاق أوسلو في أيّ يوم الأيام؟ هل منعتا أحدا من تحرير فلسطين؟

بعد نصف قرن على ما يسمّيه الفلسطينيون "أيلول الأسود"، لم يتغيّر شيء. لا يزال الفلسطينيون يتمتعون بالقدرة على ارتكاب الأخطاء ذاتها. ألم يرفضوا مشروع روجرز (وزير الخارجية الأميركي) في العام 1970 وسيّروا تظاهرات ضدّه في شوارع عمّان؟

متى يستوعب الفلسطينيون الدرس

العرب وإسرائيل.. ما كان وما يكون

إبراهيم الزبيدي
كاتب عراقي

إن إحدى الحقائق المهمة التي تغيب أحيانا عن بال كثيرين من المعترضين على اتفاقات الصلح الجديدة التي حدثت بين العرب والإسرائيليين في هذه الأيام، وعلى التي ستتبعها في الأيام القادمة، هي أن أبناء جيلنا والأجيال التي قبلنا كان يجري إرضاعهم منذ الولادة قدسيةَ الحق الفلسطيني المغتصب، لتصبح لديهمٍ استعادةُ الأرض المغتصبة عقيدة راسخة تستوجب التضحية بالنفس والنفيس، ومُكوّنا أساسيا ثابتا في عقولهم الباطنَة، وواحدا من أهم مدخراتهم الوراثية النفسية والعقائدية والثقافية والأخلاقية، إلى الحد الذي يصبح معه أي كلام عن أي سلام مع إسرائيل، حتى لو كان مطلبَ الفلسطينيين أنفسهم، من الكبائر المحرمة والمرفوضة سلفا، بلا نقاش.

وتاريخنا حافل بمجلدات من التخوين والتكفير لكل من يتحدث عن الصلح أو التفاوض أو الاعتراف بإسرائيل، منذ عام النكبة 1948 وحتى يومنا هذا، ولن تتوقف.

ونتيجةً لذلك أصبح أي مواطن مولود في مدينة عربية أو قرية في الأربعينات والخمسينات والستينات، وحتى في السبعينات، يرتجف رعبا وكرها، دونٍ وعي منه، حين يجد نفسه، مصادفةً، في محضر واحدٍ مع مواطن يهودي، رغم أنهً قد يكون من أنصار السلام، ومعارضا لصهيونيةِ الحكومة الإسرائيلة وسياساتها.

ولكن ماذا عن الأجيال العربية الجديدة المولودة في أواخر السبعينات، وفي الثمانينات والتسعينات؟ ثم ماذا عن الذين ولدوا في القرن الواحد والعشرين الحالي، والذين سيولدون فيه مستقبلا، وفي الذي يليه؟

إنهم أقلُّ من أجيالنا عبوديةً للقناعات والعقائد والعادات والثقافات الموروثة، وأكثر عقلانية وموضوعية، وأشد انفتاحا على روح العصر الجديد، عصر الإنترنت الذي فرض التواصل اليومي المباشر بين العربي وغير العربي، وبين المسلم والمسيحي واليهودي، واليساري واليميني، والمتدين واللاديني دون حدود ولا قيود.

كما أن الذي ارتكبته وترتكبه الأنظمة الدكتاتورية والجماعات الإسلامية المتطرفة من جرائم وموبقات في المجتمعات العربية، وخاصة في العراق وسوريا ولبنان ومصر وليبيا والسودان واليمن، في العقدين الأخيرين، جعل المواطن العربي غارقا في همه الوطني الخاص، ومنشغلا عن همومه القومية والعقائدية الأخرى.

ومن يتابع فيسبوك وتويتر وواتساب وغيرها ويراقب شباب العرب اليوم وهم منهمكون في تبادل الأفكار والمقترحات والمشتركات الثقافية والعلمية والاجتماعية والتجارية والغنائية والموسيقية مع آخرين من بلاد وأديان وقوميات كانت متنافرة، يدرك أن تغيُّرا هائلا، نفسيا وثقافيا، قد حدث في العصر التكنولوجي الجديد الذي ألَّف بين الشعوب وقرَّبها من ثقافة التعايش السلمي والتسامح والاعتدال.

والتغير في المناخ النفسي الحاصل في مجتمعاتنا العربية والإسلامية حاصلٌ في إسرائيل أيضا. فأهم الدراسات الإحصائية المحايدة تؤكد أن الإسرائيليين اليافعين، خصوصا المولودين في ما بعد العام ألفين، لا يحملون نفس الكمية من البغض والحقد العنصري الديني للمواطن العربي بشكل عام، والفلسطيني بشكل خاص، وذلك لأنهم أكثرُ بُعدا عن المخلفات التي تركتها الحروب الدامية في نفوس آبائهم وأجدادهم الذين جرى تخويفهم من قبل الحركة الصهيونية بحكاية العزم العربي على تحرير فلسطين والانتقام من يهودها بطريقة داعش وسيوفها، وبمفخخات وصواريخ وسكاكين أخواتها المنظمات الإسلامية المتطرفة الأخرى، وحكومات التهديد الدائم بمحو إسرائيل من الوجود، وهي أكثر من الهم على القلب.

والدليل على ذلك أن حجم الاعتراض الشعبي العربي، وليس الحكومي، على اتفاقات السلام بين الإمارات والبحرين وإسرائيل لم يكن كبيرا ولا فاعلا، بحيث أنه لم يوقف الحركة في شارع واحد في أيّ مدينة عربية بالتظاهر أو بالاعتصام، كما كان يحدث قبل سنين. ناهيك عن أن كثيرين من المعترضين لا يُعتد باعتراضهم لأن دوافعهم سياسية مصلحية مفضوحة وتجارة شعارات.

أما اعتراض المواطن الفلسطيني، خصوصا إذا كان غير مُسيس وغير مرتبط إلزاميا، معيشيا وأمنيا، بحكومة رام الله أو بحكومة حماس، فهو حقُه وواجبُه المعقول والمنتظر، دفاعا عن النفس والمصير، وبدافع الخوف الوجوديٍّ المشروع.

ولكنه حين يتأكد من سلامة نوايا الإسرائيليين، ومن صدق المطبعين العرب في تحقيقٍ السلام العادل، ويكتشف أن أحداً لم يسلبه حقه في التصرف بقضيته بحرية كاملة، وأن صياغة مستقبل شعبه المتناثر في أرجاء المعمورة كان وسيظل قراره المستقل الوحيد، فقد يصبح دخولُه إلى خيمة السلام أمرا متوقعا، وربما لازما وحتميا، عاجلا أو بعد حين.

> **لا أحد يُنكِر أن أكثر الدول والجماعات والأحزاب ظلما وفسادا واختلاسا وانتهاكا للحريات والكرامات والحقوق الإنسانية ونفاقا وانتهازية هي الحكومات الثورية وجماعات الجهاد المقدس لتحرير فلسطين**

خصوصا بعد أن عرف جيدا أن الذين تحترق حناجرُهم اليوم بشتم الموقعين على اتفاقات التطبيع هم الذين لم يفعلوا شيئا ذا قيمة لفلسطين، ولا للمواطن الفلسطيني، وأن منهم من يحرص على علاقات وثيقة جدا ومتشعبة مع إسرائيل، ويتفانى في مد حبال الصداقة معها سرا وعلانية، ويحافظ على أمنها وحدودها، برغم كل ما فعلته وما تفعله سلطات الاحتلال.

ثم إنه رأى أمس، ويرى اليوم بعينه المجردة حجم الثراء الذي حققه أصحاب الأصوات العالية الهاتفة بالمقاومة والممانعة، من العرب والمسلمين والفلسطينيين، وفضائحهم وفضائح أبنائهم وأقربائهم التي لا يخلو الإعلام الدولي منها وبلا انقطاع.

ولا يُنكِر أحدٌ أن أكثر الدول والجماعات والأحزاب ظلما وفسادا واختلاسا وانتهاكا للحريات والكرامات والحقوق الإنسانية ونفاقا وانتهازية هي الحكومات الثورية وجماعات الجهاد المقدس لتحرير فلسطين.

وقد جاء التصريح الصاعق الذي أطلقه الرئيس الأميركي دونالد ترامب، مؤخرا، والذي أعلن فيه أن الإيرانيين "راغبون في عقد اتفاق معنا، لكنني قلت لهم أن يتريثوا إلى ما بعد الانتخابات الرئاسية" ليفضح المستور، وليُلح على المواطن الفلسطيني بأن يعود إلى شعبه وحده، وبأن يستمع إلى صوت أرامله وأيتامه ومُهجريه، ويتنبَّه لمستقبل أجياله القادمة، وأن يُعرض عن الجاهلين والانتهازيين وتجار الشعارات.

ثم إن كلام الرئيس الأميركي عن 5 أو 6 دول أخرى ستنضم إلى اتفاقيات مماثلة مع إسرائيل، (وقد تكون إيران واحدةً منها، والعراق بعدها)، يعني أن صفقة القرن قد دخلت مرحلة التنفيذ النهائي العملي الجبري غير الاختياري، بقوة أميركا وجبروتها، وبمباركات الأوروبيين والروس والصينيين المكشوفة أو المستترة، وبالسياسة التدميرية التي مكَّن بها الإيرانيون إسرائيل من مغادرة مقعد العدو رقم واحد للعرب والجلوس في مقاعد الأصدقاء، وربما الحلفاء.

نعم، إن هذا ما كان، وإن هذا ما سوف يكون. والخلاصة أن خيارات الشعب الفلسطيني أصبحت في أضيق حالاتها، الأمر الذي يجعل من واجبه الوطني القومي الديني المُلح أن يعيد حساباته، وبسرعة، وأن يحك جلده بظفره لا بأظافر الإيرانيين والأتراك والقطريين والإخوان المسلمين، وقبل فوات الأوان.

العرب
أول صحيفة عربية صدرت في لندن
1977 أسسها
أحمد الصالحين الهوني

رئيس مجلس الإدارة
رئيس التحرير المسؤول
د. هيثم الزبيدي

رئيس التحرير والمدير العام
محمد أحمد الهوني

مدراء التحرير
مختار الدبابي
كرم نعمة
حذام خريف
منى المحروقي

مدير النشر
علي قاسم

المدير الفني
سعيدة اليعقوبي

تصدر عن
Al–Arab Publishing House
المكتب الرئيسي (لندن)
The Quadrant
177 – 179 Hammersmith Road
London, W6 8BS, UK
Tel: (+44) 20 7602 3999
Fax: (+44) 20 7602 8778

للإعلان
Advertising Department
Tel: +44 20 8742 9262
ads@alarab.co.uk

www.alarab.co.uk
editor@alarab.co.uk